٩٢٣/٢٥٦٥
ر٨٥٥
ن ١

رسائل عبد الرحمن الشهبندر

١٨٧٩ - ١٩٤٠

تاريخ أمة في حياة رجل

إعداد وتحقيق

دعد الحكيم

مديرة مركز الوثائق التاريخية

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ٢٠٠٢

المقدمة

بين يدي الكتاب

إنه ليُسعدني أن أقدّم لأبناء الوطن العربي الكبير هذه الرسائل التاريخية التي تعدُّ موجعاً أصيلاً في تاريخ الوطن العربي المعاصر، والتي كتبها علم من أعلام الجهاد: الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي أخذ على عاتقه مع إخوانه، مهمَّة تحرير الوطن من الغاصب المحتل حتى تأخذ الأمة العربية مكانها الطبيعي بين الأمم.

وهذه الرسائل فيها تفصيلاتٌ دقيقة لأهم القضايا الوطنية في سورية والأردن وفلسطين والعراق ومصر خلال فترة تمتد أكثر من خمسة عشر عاماً بين ١٩٢٥ و١٩٤٠م، وهي تعكس طبيعة العمل الوطني في تلك الفترة، وتُعبّر عن تاريخ الوطن بحلوه ومُرّه.

وقد نظمنا هذه الرسائل بحسب تسلسلها الزمني، لمعرفة الحوادث بوضوح، وشرحنا مافيها من غموض، وعرَّفنا بأهم الأعلام، وأضفنا إليها مجموعة كبيرة من الصور التاريخية النادرة لتساعد في فهم الأحداث، وتُبين للأجيال الحاضرة صوراً من تاريخها القريب تستفيد منها في حاضرها ومستقبلها.

إن نشر المذكرات والرسائل والأوراق يُعدُّ واجباً وطنياً، وحقًّا علينا تجاه الذين صنعوا لنا هذا الاستقلال، لأن غالبية هؤلاء تكاد تكون مجهُولة، ولايذكرها

الناس إلا لأن شارعاً سُمّي باسم هذا، وساحة سميت باسم ذاك ومدرسة سميت باسم الثالث.

لقد كان الشهبندر عدواً مبيناً للاستعمار الفرنسي والبريطاني والصهيوني ولكل استعمار آخر، وكان الشعب يعلّق عليه آماله، فحُكم عليه بالإعدام أكثر من مرة، ونُفي وشُرِّد واضطهد من الأصدقاء قبل الأعداء..

وعندما عاد إلى وطنه في أيار ١٩٣٧م ليتابع كفاحه، لم يكن يخطر بباله أنه سيلقى مصرعه بأيدي من كان يدافع عنهم ويكافح من أجلهم.

وهكذا توقف هذا القلب الكبير ظهر يوم السبت السادس من تموز ١٩٤٠م وهو يؤدي عمله الوطني والإنساني، وارتفعت روحه إلى السماء لتشكو إلى خالقها ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، ورقد جثمانه بجوار صلاح الدين الأيوبي، وياسين الهاشمي، والناس يمرّون من أمام قبره ولايدرون من هو الشهبندر.

فعسى أن نكون بهذا العمل قد وفَّينا الشهيد وإخوانه المجاهدين بعض حقوقهم وعرَّفنا الناس بسيرة الرجل الذي كان في يوم من الأيام مالئ الدنيا وشاغل الناس.

وكما قال «عمر أبو ريشة»:

فإذا شيبةُ الجهادِ خُضِّبت ... تحت أقدامها، فيا للعار
فمن المبكيات أن تقتل الأ ... حرار في غير ملعب الأحرار
بنت قاسيون أنتِ أنتِ ... ستبقين على الدهر قبلة الأنظارِ
لن تموتي. فكاهل الأرض لا ... يقوى على حمل نعشِك الجبَّار

ويطيب لي بهذه المناسبة أن أتقدم بالشكر الجزيل للسيدة الدكتورة :

نجوة قصّاب حسن

التي بذلت كل جُـهـدٍ في إخـراج هذا الكتـاب إلى النـــور والشكر أيضـاً للـــسيد عـامر بدر حسّون الذي أفدتُ من كتابـــه الموســوم بـ «كتاب سورية» عدداً من الصور التاريخية .

كـما لاأنسى الأستاذ أكـرم حسن العلبي الذي ساهم في مراجعة الكتاب ، وتدقيقه ووضع العناوين له .

دعدُ الحكيم

دمشق ١٥ أيلول ٢٠٠٢م

(١) الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في سطور
١٨٧٩م - ١٩٤٠م

هو ابن المرحوم السيد صالح الشهبندر، وعائلة الشهبندر عائلة عريقة منتشرة في سورية والعراق.

- النشأة

ولد - تغمَّده الله بواسع رحمته- في دمشق في ٢٢ ذي القعدة ١٢٩٦هـ، و٦ تشرين الثاني ١٨٧٩م. وتلَّقى علومه الابتدائية في مدارس الحكومة فيها.

ثم دخل الجامعة الأمريكية في بيروت، ونال عام ١٩٠١ شهادتها العلمية. وكان الخطيب السنوي للجمعية العلمية العربية. فألقى في قاعة المدرسة خطاباً في (التقليد الاجتماعي والديني) حمل فيه على الجمود بأنواعه حملة شعواء. وعاد إلى دمشق فانضم عضواً عاملاً إلى الحلقة الإصلاحية التي كان على رأسها العلامة الكبير المرحوم الشيخ طاهر الجزائري. وبناء على حدوث حوادث وتطورات علمية واجتماعية وسياسية آنئذٍ في البلاد اقتيد المرحوم على أثرها إلى المحاكم بتهمة أنه أحد الذين اشتركوا في تأليف رسالة موضوعها (الفقه والتصوُّف)، وبأنه أحد الذين كتبوا في المقطَّم في موضوع (خلافة السلطان عبد الحميد الثاني). ولكن صغر سنه أنقذه يومئذ من السجن وربما من الموت.

- الجامعة الأمريكية

وفي عام ١٩٠٢ عاد إلى الجامعة الأمريكية، وعكف على دراسة الطب مدة

أربع سنوات، كان الأول في صفه في كل منها. وفي ختام هذه المدة، أي في عام ١٩٠٦ نال شهادة ممتازة في الطب لم ينلها أحد قبله. وكان خطيب السنة أيضاً، فألقى خطاباً علمياً صرفاً موضوعه (التساهل)، حمل فيه على التعصُّب حملة مماثلة لحملته على (التقليد)، حتى إن الشهيدين الكريمين عبد الوهاب الإنكليزي وشكري العسلي[١] سافرا خصيصاً إلى بيروت لسماع هذه الخطبة. وقد اغرورقت أعينهما بالدموع لتأثرهما بها وللامتيازات التي نالها المرحوم من الجامعة. وقد عينته الجامعة آنئذٍ أستاذاً وطبيباً لتلاميذها.

الاتحاديون

وفي عام ١٩٠٨ عاد إلى دمشق، واتصل بالمرحوم الشيخ عبد الحميد الزهراوي[٢] وبأحرار الترك إثر حدوث الانقلاب العثماني في تموز تلك السنة. وكان عاملاً كبيراً في تأسيس الجمعيات العربية الحرة في دمشق. ولكن ما إن تبيَّنَ له أن في برنامج الاتحاديين محاولة لتتريك العناصر حتى هبَّ مع من هبَّ من أحرار العرب بالذبِّ عن حقوق العرب القومية. وكان لسان حال هؤلاء الأحرار المرحوم شكري العسلي، صاحب المواقف الممتازة في مجلس النواب العثماني عام ١٩١١.

- الهروب من دمشق

ولما اندلعت نار الحرب العالمية الأولى أراد العرب تناسي الماضي والتعاون مع الترك. ولكن الاتحاديين لم يقدروا لهم هذا الموقف النبيل، فعمدوا إلى سياسة البطش والتنكيل بأحرارهم. وكادت تعلَّق مشنقة المرحوم لولا فراره من دمشق إلى العراق، ومنه إلى الهند فمصر.

عهد السبعة في القاهرة

وفي مصر أدَّى رحمه الله للقضية العربية خدمات تجلُّ عن الوصف،

---

(١) من شهداء ٦ أيَّار ١٩١٦م.

(٢) عبد الحميد بن محمَّد ١٨٥٥ - ١٩١٦م، من شهداء أيَّار

وحارب تصرفات جمال باشا السفَّاح[1]، وزير البحرية وقائد الجيش العثماني الرابع، محاربةً شديدة. وبنتيجة مساعيه مع ستة من إخوانه السوريين قطعت بريطانيا لهم - بعدما قطعت للحسين بن علي من عهود- عهداً أطلق عليه (عهد السبعة)، وهو يقضي بأن كل بلاد عربية يفتحها الجيش العربي تبقى عربية مستقلة. وقد نشر الكولونيل لورنس المشهور هذا العهد في جريدة (التيمس) اللندنية عقب دخول الجيش العربي سورية.

وثق الموحوم وإخوانه، كما وثق جميع العرب، بتلك العهود ظناً منهم بأنها صادرة عن أمة تحترم كلامها. فهبوا جميعاً لمساعدتها وتسهيل مهمتها. ولم يُدر في خلدهم أن الإنكليز سيعتبرون هذه العهود قصاصة ورق، وأنها خدعة لكسب الأنصار فقط[2].

الحكومة العربيَّة

عاد المرحوم في نيسان عام ١٩١٩ إلى دمشق، وهيأ مع إخوانه في مختلف الأحزاب الحملة الكافية لإظهار البلاد أمام اللجنة الاستفتائية الأمريكية[3] بالمظهر الذي تنشده من حرية صحيحة واستقلال تام. ومنذ ذلك الحين انعقدت أواصر الصداقة بينه وبين المستر كراين، رئيس اللجنة المذكورة.

وعندما تألفت في شهر أيار (مايو) سنة ١٩٢٠ وزارة السيد هاشم الأتاسي التي سميت بـ(وزارة الدفاع) عهد إلى المرحوم بوزارة الخارجية فيها. ولكن بعد

---

(١) أحمد جمال باشا الداغستاني ١٨٧٢م - ١٩٢١م، اغتاله أحد الأرمن في تفليس، وهو أشهر من أن يُعرَّف.

(٢) كانت جرائم بريطانيا ماثلة للعيان في مصر والسودان وعدن والخليج العربي والهند والعالم ولم يكن الأمر يحتاج إلى أدنى درجات الذكاء للبعد عنها، ولاسيّما بعد كشف معاهدة سايكس بيكو الاستعمارية وإذاعتها من قبل حكومة الثورة البلشفية في روسيا، والغريب أنه حتى هذه الأيام نجد من يثق ببريطانيا على الرغم من جرائمها الجديدة في فلسطين والعراق.

(٣) لجنة كينغ- كراين، ولم تكن أمريكا في ذلك الوقت قد دخلت في عداد الدول الاستعمارية كما هو حالها اليوم.

معركة ميسلون[1] التي أعقبت إنذار الجنرال غورو اضطر إلى مغادرة البلاد إلى القاهرة.

- حادثة مستر كراين

وعندما عاد إلى دمشق في تموز ١٩٢١ أخذ في تنظيم الأعمال السياسية لمقاومة الاحتلال الفرنسي. ثم انتهز فرصة زيارة المستر كراين لدمشق في أول نيسان عام ١٩٢٢، فأحدث بالاتفاق مع صديقيه الحميمين حسن الحكيم وسعيد حيدر وغيرهما من كرام الوطنيين الحادثة المعروفة باسم (حادثة المستر كراين أو أول صرخة دوت في البلاد ضدَّ المستعمر الغاصب)[2]، والتي انتهت بالحكم عليهم وعلى بعض إخوانهم بالاعتقال مدداً تتراوح بين الخمس سنوات والعشرين سنة.

وكانت العشرين من نصيب الدكتور بالطبع، وإلى نفيهم بعد صدور الحكم إلى بيت الدين، ثم إلى جزيرة أرواد، حيث قضَوْا فيهما وفي دمشق نحو تسعة عشر شهراً. ولما أعيدت حريتهم إليهم في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٣ شدَّ المرحوم الرحال إلى أوربا وأمريكا، حيث قام بما يتوجَّب عليه من الدعاية في سبيل بلاده. وقد أتيح له في هذه الرحلة مالم يتح لغيره من محادثة كبار الرجال في القضية العربية، وهم الذين لايعترفون بزعيم غيره لسورية. حتى إن حزب المحافظين في لندن دعاه إلى حفلة في الوست منستر ضمَّت كبار وزراء الإنكليز. وهناك ألقى خطاباً كان له أثره الطيِّب وصداه البعيد. وقد نشرته الصحف الإنكليزية في حينه. وكيف لايكون لخطابه مثل هذا الأثر وهو سيد خطباء الشرق.

حزب الشعب

وفي تموز سنة ١٩٢٤ عاد المرحوم إلى دمشق، حيث ألف حزب الشعب وتولى تنظيم البلاد سياسياً. وما إن علم بما يعاني جبل الدروز من أعمال حاكمه

---

(١) في ٢٤ تموز ١٩٢٠م.

(٢) عن هذه الحوادث المهمَّة وعن اعتقال الشهنبدر ومحاكمته، انظر: تاريخ الثورة السورية- محي الدين السفرجلاني ص٨٤ حتى ص ١٠٠.

الكابتن كاربييه حتى رأى في ذلك فرصة للقيام بثورة ضد العدوّ الغاصب. فاتفق في منزله سراً وبمعزل عن الأحزاب الرسمية وغيرها مع ذوي الحلّ والعقد من زعماء الجبل وقادته على التعاون في العمل لإنقاذ البلاد وتحريرها.

وقد انصرف هؤلاء الزعماء إلى إعداد معدات الثورة، كما انصرف الدكتور إلى تهيئة أسبابها بالتعاون مع صديقيه المذكورين وسائر إخوانه، دون أن يحيط أحداً علماً بتحالفه مع زعماء الجبل، خشية تسرُّب ذلك إلى الفرنسويين.

- الثورة

وما إن اندلعت نار الثورة في الحادي والعشرين من شهر تموز ١٩٢٥ في الجبل حتى لبَّى وصديقاه نداء الوطن والتحقوا بها. وقد بقي المرحوم ملازماً لحركات الثورة في الجبل والغوطة إلى أن أرغمت قوات العدو الكبيرة المجاهدين على الخروج منهما والالتجاء إلى المعاقل المنيعة في الأزرق والصفا واللجاة. وذلك بعد معارك حامية ووقائع تشيب لها الولدان. ، تكبَّد فيها العدوُّ أفدح الخسائر.

الاستقرار في مصر

ولما لم يبقَ مجال للحركات في الجبل والغوطة غادر المرحوم مع سلطان باشا الأطرش، قائد الثورة العام، وبعض المجاهدين الجبل في أوائل شهر تشرين الأول ١٩٢٦ إلى الأزرق. وفي تشرين الثاني ١٩٢٦ ذهب إلى العراق، وبعد مدة قصد إلى مصر، واستقرَّ فيها يعمل للقضية العربية[١] بالتعاون مع اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفسطيني ما استطاع للعمل سبيلاً.

وبما أنَّ السُّلطة الفرنسوية كانت حكمت عليه وعلى صديقيه وغيرهم من الوطنيين بالإعدام بسبب اشتراكهم في الثورة، فقد بقي وإياهم بعيدين عن الوطن مدة اثني عشر عاماً. وعندما أعيدت إليهم حريتهم وعادوا إلى البلاد يوم ١٤ أيار

---

(١) ذكرت أسمهان أن الدكتور الشهبندر كان يتردَّد على منزلهم في القاهرة، وأنها ذهبت إليه مرةً لطلب المساعدة المالية. انظر: أسمهان بقلم محمد التابعي ص٤٣.

(مايو) ١٩٣٧ زحفت دمشق شيباً وشباناً، نساء وأطفالاً، لاستقباله مع إخوانه، ذلك الاستقبال الرائع الذي قلَّ أن شهدت البلاد مثله، وأقامت له الزينات في كل حي من أحيائها، تقديراً لجهاده وتضحياته في سبيل أمته وبلاده.

الاغتيال

وهناك ثابر المرحوم على خدمة وطنه بما عرف عنه من همة ونشاط، إلى أن امتدت إليه في ٦ تموز ١٩٤٠ تلك اليد الغادرة الأثيمة بالاغتيال وهو يقوم في عيادته بعمله الإنساني المعتاد. وبذلك خسرت البلاد تلك الشخصية الفذة التي امتازت بعلمها ووطنيتها وجهادها وسياستها.

سارَّة العظم

وهنا نرى من الإنصاف أن نشير إلى أنه كان يلقى- رحمه الله- في جميع حركاته تعضيداً ومشاركة من حرمه المصون السيدة سارَّة العظم[1]، التي تحمَّلت معه كل ماتحمل من ضروب الأذى والاضطهاد، والتي كنا ولانزال ننعتها بأم السوريين - مدَّ الله في عمرها ومتَّعها بموفور الصحة والسعادة والهناء.

آثاره

ومن آثاره رحمه الله تلك المقالات القيّمة في القومية العربية والأدب والاجتماع، التي كان ينشرها في الصحف والمجلات المصرية، وتلك الخطب الوطنية العديدة الرائعة التي كان يلقيها في الاجتماعات والاحتفالات، بالإضافة إلى مؤلفه القيِّم «القضايا الاجتماعية الكبرى»، و«سلسلة السجون» الذي ترجمه في معتقله في أرواد. والكتاب الأول مجموعة مقالات كتبها الزعيم في مجلَّة المقتطف تناول فيها بعض القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي كالمدنية، والمرأة والرجل، ومصير الأسرة الشرقية، والدولة والحكومة والرعية، وبناء الدولة، وأصلح أنواع الحكم في العالم العربي، والدين والنهضة الأخلاقية الحديثة... وغير ذلك من القضايا الهامة.

---

(١) سارَّة بنت تقي الدين العظم، أُخت نزيه مؤيد العظم، كانت تُلَقَّب بأم السوريين، قياساً على أم المصريين السيدة صفية زغلول ١٨٧٨ - ١٩٤٦م حرم سعد باشا زغلول.

والثاني في السياسة الدولية لمؤلفه د. لزل بورنس. وقد نقله الزعيم إلى العربية عندما كان في حجيرة في سجن أرواد، أي في سجنٍ داخل السجن، حُجز فيه بسبب هتافه للحرية. وأسماه: سلسلة السجون (حلقة الزنزان). وكان بوده- رحمه الله- أن يكمل هذه السلسلة بحلقات أخرى، هي حلقات الإبعاد والاضطهاد والاستعباد والإرهاب والإذلال.

هذا غيض من فيض من حياة الزعيم الخالد المغفور له الدكتور شهبندر أما ما كان يتحلَّى به من علم واسع وعبقرية فذة ورجولة كاملة وغير ذلك من الصفات الممتازة التي يتحلَّى بها عادةً عظماء الرجال فقد أشار إليها صديقه الحميم حسن الحكيم في المقالات الخمس التي نشرتها له جريدة «الأيام» الغراء بمناسبة ذكراه السنوية.

أغدق الله على الفقيد الغالي شآبيب رحمته، وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه عن أمته وبلاده خير الجزاء[1].

---

(١) وضَع الأستاذُ حسن الحكيم أوسع دراسة عن صديق عمره الشهبندر، ونشرتها الدار المتحدة للنشر في بيروت سنة ١٩٨٥م. وهذه النبذةُ عن حياته نشرها الحكيمُ في أوَّل الكتاب ص١٧ ومابعد.

(٢) عبد الرحمن الشهبندر

صفحات مجهولة من سيرته

جبل العرب- تشرين الأول ١٩٢٥م

ضربُ دمشق بالقنابل

في منتصف شهر تشرين الأول من عام ١٩٢٥ طلب مني تلفونياً صديقي عباس باشا- حاكم قضاء بني كنانة، أن أحضر سريعاً إلى قرية أم قيس المطلة على منطقة الحمّة. وهناك وجدتُ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وابن عمه[1] المجاهد الكبير نزيه مؤيد العظم.

ذهبنا - بإشارة عباس باشا- إلى قرية سحم الكفارات، ونزلنا في ضيافة الوجيه الدمشقي عز الدين بدرخان باشا رحمه الله، وانزوينا في داره نرقب تطور الثورة السورية، لنرسم خطة السير: ترى إلى الجبل أم إلى الغوطة؟.

وفي اليوم التاسع عشر من ذلك الشهر عاد بعض فلاحي القرية في محطة المقارن الواقعة على خط درعا- الحمة وضفاف نهر اليرموك الخالد، ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور ونوازل الدهور، وكان الخبر، بل كانت الفاجعة هي أن

---

(١) يقصدُ عمّه والد زوجته سارة.

الفرنسيين دمّروا مدينة دمشق وأحرقوها[1]، وأن مدافعهم تصبُّ قذائفها . على السكان منذ ٢٤ ساعة، وأن النار تضطرم وتنتشر في الشوارع والأحياء. لقد عرفوا هذا من ركّاب القطار الدمشقي الذين فروا من دمشق إلى حيفا.

مغادرة نزيه مؤيد العظم

وجمنا للمصيبة، وثارت ثائرة نزيه بك، الذي أراد الركوب حالاً إلى منطقة الثورة للانتقام. ولكن الدكتور الشهبندر- ولم يكن بأقلّ منه حماسة وتألمًا- قال له بالحرف الواحد: لقد خرجتُ إلى الثورة بالاتفاق مع جميل مردم بك، وهو اليوم في حيفا. ومن الوفاء أن لاأتركه، لذلك علينا أن ننتظره لنعود كلنا إلى الجبل، إلا إذا شاء البقاء في حيفا. ولكن نزيه بك رفض الانتظار. واحتدّت المناقشة بينهما. فقلت لهما: أنا ذاهب الآن إلى حيفا، وسأعود في المساء مع جميل بك. وهكذا كان الرأي!.

ركبتُ خيلاً إلى أم قيس، فمحطة سمخ الفلسطينية. ومن هناك أخذت القطار إلى حيفا. وفي فندق فيكتوريا قابلت القاضي البيروتي الوطني المبعد الشيخ مصطفى الذي أخبرني أن الفرنسيين استلموا جميل بك نهار أمس. وسرد لي تفصيلات الحادث.

رجعتُ إلى سحم الكفارات، فوجدت نزيه بك قد غادر القرية إلى منطقة الثورة، لأنه لم يستطع الانتظار.

(*) مذكرات الشهبندر- الوثيقة ١٥/ ١٥.

(١) ابتدأ القصف الهمجي لدمشق بعد عصر الأحد ١٨ تشرين الأول بالطائرات وبالمدفعية من القلعة والمزّة واستمرّ ثلاثة أيام بلياليها ونجم عنه تدمير مايعرف اليوم بالحريقة والعمارة والقيمرية والشاغور والسويقة والميدان. ولاتزال آثار التدمير ماثلة حتى اليوم، والغريب أنّ الفرنسيين لم يتأثروا لهذا التدمير الذي أتى على عشرات الأماكن الأثرية في دمشق!!! انظر تاريخ الثورة السورية للسفر جلاني ص٢١٧.

في الطريق إلى الجبل

في اليوم الثاني توجهنا نحو أول قرية أردنية على الحدود السورية- قرية شجرة الشبول- وبقينا فيها نحن الثلاثة: الدكتور شهبندر وأنا والدليل الشيخ محمد الداعلي، حتى حلّ الظلام. وعندما كان المؤذن ينادي لصلاة العشاء كنا نقرأ باسم الله مجريها ومرسيها. ودخلنا منطقة حوران.

كانت الخطة أن نسير شمالاً باتجاه دمشق، مبتعدين عن القرى. حتى إذا حاذينا تل عرار انعطفنا إلى جهة الشرق لنقطع في جنح الدجى غرب حوران. وإذا كان الفجر كنا في حدود جبل الدروز، إذا كتب الله لنا السلامة.

الدليل يضلّ الطريق

الجو رائق والقمر ساطع والبرد مقبول، وسرنا في طريقنا غرب قرية داعل، وأخذنا نسير إلى الشمال. مضت الساعات ومازلنا نمشي نحو الشمال، مع أنه كان من الواجب أن نتجه إلى الشرق منذ زمن، ولكنني أدركت أننا تائهون. فلفتُّ نظر الدكتور إلى ذلك. ولما قال الشهبندر للدليل: أظننا ضائعون يامحمد. أجابه لو كنت في دمشق وجاءني شخص بحفنة من التراب لسمَّيتُ له اسم القرية التي جاء بالتراب منها، وقال الدكتور: ماقولك أنت؟ أجبتُهُ: نحن ضائعون ولاشك، ثم سرنا إلى الشمال، باتجاه دمشق.

قبل أن يبزغ الفجر وصلنا إلى التل، كان تل نامر[1] وليس تل عرار. لقد انقضى الليل إلا أقله. ومن مئذنة جامع في قرية نامر تعالى أذان الصبح.

أدرك الدليل خطأه العظيم، وأخذ يعتذر لنا قائلاً: هذا قضاء الله وقدره. إن دمي ودمكم واحد. وإن روحي وروحكم واحدة بيد الله!.

كان بين تل عرار وتل نامر فرق عظيم. ولقد صرفنا أربع ساعات تعادل عمراً من الحياة، ومعنى ذلك أنه سيطلع علينا النهار وتشرق الشمس ونحن مانزال في

---

(١) نامر: قرية في حوران على مقربة من شيخ مسكين.

قلب حوران. وسنواجه خطر دوريات الدرك ومفارز الجنود الافرنسية، بينما كان يقتضي أن يبزغ الفجر ونحن في حدود جبل الدروز أي في منطقة الثورة.

هذه الساعات التي أضعناها بالاتجاه إلى الشمال هي ساعات العمر، ساعات الخطر، ساعات الموت المحقق. وعلى كل فقد اتجهنا إلى جهة الشرق صوب الجبل.

انقضى على ركوبنا نحو عشرين ساعة. لم ننم ولم نسترح خلالها أبداً. وبتأثير البرد والتعب أخذتنا سنة خفيفة من الكرى ونحنُ على ظهور الخيل.

خطر الأسر

وإذا بصوت عظيم ودوي هائل في الفضاء، كان الصوت من المدفع الافرنسي الذي يبعث قذائف الفجر من قرية بُصْر الحرير[1] الحورانية، ليصبَّ حممه على قرية نجران[2] الدرزية.

ليس الخطر هنا، بل الخطر كان في أن خيلنا كانت تسير مباشرة إلى المعسكر الافرنسي الكبير في قرية ازرع. الحمد لله أولاً، والشكر للمدفع الافرنسي الذي نبهنا إلى الخطر دون أن يقصد، ابتعدنا عن معسكر ازرع مسافات.

وما كان أحلاه من صباح للإفرنسيين حين يجدوننا أمامهم، ويلقون القبض على زعيم الثورة السياسي الدكتور شهبندر، وعليَّ، وكنتُ محكوماً بعشرين سنة سجن في قلعة محصنة بقرار الديوان الحربي العرفي الافرنسي في عام ١٩٢٢.

ولَّتْ مؤخرة الدجى أمام طلائع النهار. وأطلَّت الغزالة تبعث أشعتها الذهبية على سهول حوران الخضراء. وانتشر الفلاحون في السهول وتفرقوا في الحقول، ليس من جبل نعتصم فيه، وليس من غابة نلجأ إليها، وليس لنا إلا الاستسلام إلى عناية الله.

---

(١) جنوب شرق إزرع بـ ٨ كيلو متر.

(٢) شمال بلدة السّجن بـ ٧ كيلومتر.

كل ما علينا من ثياب وسلاح يدلُّ على أننا من رجال الثورة، ومصيرنا متوقف على مرور دورية أو مفرزة إفرنسية لتتصادم معها، وهناك إما الموت، وإما الأسر والإعدام.

وصلنا إلى قرية ناحتة[1] الحورانية، وكان الطريق يخترقها شرقًا إلى قرية حتما أولى قرى جبل الدروز. لم نبتعد عن القرية أكثر من مئة متر حتى أحاط بنا الفلاحون قائلين: «أنتم ذاهبون إلى الثورة ياأعداء فرنسا».

الوقوع في الفخّ

قال لي الدكتور: ماقولك؟ فأجبته: إن كان في القرية جنود فالموت محقق ولانستسلم. وإن كان الجنود يبعدون ولو ربع ساعة فهنالك واحد بالمئة من الأمل في الحياة.

التفتُّ إلى الفلاحين وقلت لهم: هيا بنا إلى الافرنسية، أليس رئيسها السرجان ماط، فهو من خيرة أصدقائي. وماكنت أعرف ماطًا ولاغيره، ولكن الله أنطقني بهذا.

قال الفلاحون: كان هنا وركب إلى بصر. فقلت لهم: هذا أحسن فإن الليوتنان كيميه صديقي الحميم. وقلت للدكتور: لقد أطل شعاع الأمل في الحياة.

قبل ٢٤ ساعة، وعندما ودَّعنا صديقنا عز الدين بك بدرخان باشا في سحم الكفارات الأردنية، قدمتُ له محفظة أوراقي راجيًا منه أن يعطيها، إلى أهلي إذا سمع أنني استشهدت.

وأخرج الدكتور أيضًا محفظة أوراقه وأعطاها إلى عز الدين بك مسترحمًا تقديمها إلى أولاده تذكارًا لهم عند استشهاده، ولكنه أخرج منها عددًا من بطاقات الزيارة (كارت فيزيت) وأبقاها في جيبه، لعلها تلزم في الجبل.

---

(١) إلى الشمال من بلدة الحراك في منطقة إزرع.

وبينما كنتُ أتجادل مع الفلاحين، وكان الدليل يتخاصم معهم لأجل بندقية، كان الدكتور قد ذهب إلى ناحية منفردة وأخذ يمزق تلك البطاقات التي تدل على هويته وشخصيته.

كانت البطاقة مكتوبة بالخط الديواني. وبينما كان الدكتور يمزقها وإذا بفلاح يخطفها من يده ويبدأ بقراءتها فاستعْصتْ عليه. قرأ عبد الرحم... فأسرع الدكتور بقوله: عبد الرحيم... وقرأ: شهـ... فبادر الدكتور بقوله: شهيم. فقال له الفلاح: يوجد هنا: در. فقال الدكتور: شهيمدر.

وهكذا حول الدكتور الاسم من عبد الرحمن شهبندر إلى عبد الرحيم شهيمدر.

سألني الفلاحون: من أنتم؟ وماهي قصتكم؟ فقلت لهم: نحن تجار من أهل دمشق التي أحرقها الفرنسيون وخربوها بالمدافع ٢٤ ساعة، وقد احترقت بيوتنا وماتت تحت الردم عائلاتنا، واحترقت. ونحن منذ يومين ضائعون لانعلم أين نذهب. وأخذت أبالغ بالوصف لأثير حماستهم الوطنية وشعورهم الديني، وأحرك شفقتهم علينا.

وكان مُعظم الفلاحين قد انصرف عنا إلى عمله وحقله، وبقيت قلةٌ منهم استطعنا أن نفتح الطريق بمفتاح من الذهب فتركونا نسير نحو قرية حما الدرزية ونحن ننفض عن أكتافنا غبار الموت الأكيد.

كانت المسافة قصيرة بين قرية ناحتة الحورانية وقرية حما الدرزية. ولما كان الكثير من سكان حما هم من أبناء الطائفة المسيحية، فقد كان الدرب لايخلو من الفلاحين المسيحيّين النازحين من الجبل إلى حوران.

ونحو العصر وصلنا إلى برّ السَّلامة قرية حما، فلم نجد بها أحداً سوى بيت

زعيمها من آل هنيدي من بني معروف، ظننت أننا وصلنا إلى بر السلامة وشاطئ الأمان. أقول هذا وهو في الواقع منطقة الثورة وساحة الموت، الموت الشريف في سبيل الأوطان، لا الموت شنقاً بدمشق أو الإعدام في إزرع، أو الهلاك في ناحية.. ناحتة.

الغلطة القاتلة

وهنا ارتكبت جريمة كبرى. فقد جرت العادة في الريف أن يقول المضيف: حيًّا الله الضيف. فيجيبه القادم: حيانا بك، ثم يذكر اسمه.

وظنًا بأننا وصلنا إلى منطقة الثورة قلت متفاخراً وباثًا في القرية بشارة الفرح: هذا زعيم سورية السياسي الوزير الخطير الدكتور شهبندر. وأنا الضابط المجاهد صبري فريد البديوي.

ثم ذهبنا تواً إلى المضافة- وليس بها سوانا. وفي دقائق قليلة كنا نسبح في بحر الكرى العميق الذي حرمنا منه منذ ٣٦ ساعة، ناهيك بما أصابنا خلالها من الجوع والتعب والظمأ والعذاب والأخطار.

صحوت من نومي على انفجار شديد، ودوى محرك طائرة فوق القرية فرأيت عموداً من الدخان والغبار يرتفع إلى الجو من جوار القرية.

سألت الفلاحين: أين رمت الطائرة قذائفها؟ فقالوا في السجن: أي القرية التي تبعد عن حما دقائق قليلة، فقلت لهم: لقد كان الانفجار شديداً حتى ظننت أنه في حما. فأجابوا: ويالهول ما أجابوا: إن الطائرة لاترمي هذه القرية بقذائفها لأنها مستسلمة إلى الفرنسيين، والجند يأتيها متى أراد.

أدركتُ فداحة الخطب: ففي إزرع نبهتنا المدافع إلى الخطر، فنجونا. وفي ناحتة استطعنا خداع الفلاحين. أما هنا وفي هذه القرية. فقد عرف المستسلمون حقيقتنا. ولعلهم يعرفون بأن الفرنسيين وضعوا جائزةً كبرى من الليرات الذهبية لمن يأتيهم برأس الدكتور شهبندر.

من يدري؟ هل يعلمون بذلك؟ وهل يعيد التاريخ قصة صديقي الشهيد أدهم بك خنجر[1]، فليس بعد الاستسلام ذنب. قلت للفلاحين: معكم الحق، ونحن ذاهبون إلى سلطان باشا بمهمة نرجو الله فيها أن يحقن الدماء.

أي إنني جعلتُ نفسي والدكتور رسلاً من الإفرنسيين لانهاء الثورة أي خونة في نظرهم.

ثم أتيتُ الدكتور أُوقظه بشدة وعنف. ولما أبى الاستيقاظ قلت له: قم قبل أن تذبح على هذا الفراش فالقرية مستسلمة.

الوصول إلى برّ الأمان

وبسرعة فائقة غادرنا القرية، وبعد دقائق كنا في قرية السجن[2] تستقبلنا جموع المجاهدين بالترحيب والأهازيج. ثم ساروا بركابنا إلى قرية دامة[3] لنحضر اجتماعها الكبير الذي ضم عشرات بكوات وزعماء الجبل ودمشق، يرأس الاجتماع عطوفة القائد العام سلطان باشا الأطرش.

وفي صباح ذلك اليوم ودَّعتُ الدكتور شهبندر، ومشيتُ مع الحملة الكبرى التي كان يرأسها زيد بك شقيق سلطان، وفيها العدد الكثير من زعماء جبل الدروز، أمثال الأمير حسن وصيَّاح وفضل الله وسلمان وأسد الأطرش وسلمان هنيدي وحمزة الدرويش وجاد الله سلام وغيرهم، وهي الحملة الكبرى التي خاضت معارك وادي التّيم والإقليم وحاصبيَّا وراشيَّا الشهيرة.

صبري فريد البديوي

---

(١) ثائر من جبل عامل بلبنان كان من المقرَّبين للملك فيصل. اتُّهم بمحاولة اغتيال الجنرال غورو في ٢٢ تموز ١٩٢١م، لجأ إلى سلطان الأطرش في القريَّة، فلم يجده، فاعتقله الفرنسيون في الحال، ورفضوا إطلاق سراحه، ثم نُقل بالطائرة إلى دمشق وأعدمه الفرنسيون في الحال، في تموز ١٩٢٢م، وكان سبباً في اشتعال ثورة جبل العرب الأولى.

انظر: الثورة السورية، سلامة عبيد ص٩٢.

(٢) شمال السُّويداء بـ ١٢ كيلو متر.

(٣) دامة أو داما: من قرى جبل العرب، شمال بلدة عريقة بـ ٩ كيلومتر، وفيها اجتمع يوم ٨ آب ١٩٢٥م، الثوّارُ وانتخبوا سلطان الأطرش قائداً عامّاً للثورة.

(٣) أخبارُ الجبل وحملة المسميَّة

ذيبين[١] في ١٢ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٦

حضرة الأخ الفاضل حسن بك الحكيم[٢]، لاعدمتك!.

أهديك أزكى سلامي وأوفر تحياتي وأشواقي وبعد: فقد وصلْنا أمسِ الظهر إلى ذيبين بعدما قطعنا نحو ٢١٥ كيلو متراً على طريق سهلة في الأول، وعرة في الآخر. وكان السبب في سلوكنا الوعر أن السواقين والدليل الذي أخذناه لم يعرفوا الطريق. ولو لم نجتمع ببدويٍ آخر وجدناه على الطريق لتعذر أيضاً وصولنا إلى هدفنا.

إنني كتبتُ هذه الكلمات لتكونوا في المستقبل على بيّنةٍ من أمر الذين يغادرون المشرق العربي بغير طريق الرصيفة والزرقاء.

واليوم صباحاً حدث أمر جديد، وهو أن السائق الذي ركبنا معه انسلَّ في الصباح بالتواطؤ مع رفيقه، فركبا السيارة بحجة تدوير المحرك، ثم انهزما لايلويان على شيء، وتركانا مع أغراضنا وأحمالنا في ذيبين، من غير أن يوصلانا إلى

★ مذكرات عبر الرحمن الشهبندر - وثيقة رقم ٢٠/ ٤. وهذه أولى رسائل الشهبندر هنا.

(١) بلدة في جبل العرب تتبعُ منطقة صلخد.

(٢) حسن الحكيم ١٨٨٦ - ١٩٨٢ وطني بارز وسياسي حكيم، كان من حزب الشهبندر ومن أصدقائه.. مات بدمشق فقيراً معدماً منسيًّا..

السويداء. وهذا عمل شرِّير يدلُّ على خبث طويَّةٍ. وقد استاء له جميع الدروز. وإنني لم أدفع لهما الأجرة التي أخبرتموني عنها، وهي عشر ليرات عثمانية. والظاهر أنهما ظنَّا أن صاحب السيَّارة قبضها. لذلك أرجو أن تعاملوهما معاملة قاسية يستحقَّانها، ولاتؤدُّوا الأجرة إلا بعد مايتبيَّن صاحبها أن عمله شرير فاسد. وكذلك لابد من حسم أجرة عن المسافة بين ذيبين والسويداء، وهي مسافة خمس ساعات على الراكب. إنَّ هذا الحسم ضروري لتأديب أمثالهم. وقد خدعانا بإهمالهما ذكر الأجرة بتاتًا، وإلا كنا اتخذنا الاحتياطات ووضعنا المراقبة اللازمة.

لم نطَّلع بعد على شيء جديد من أحوال الجبل تدلُّ على معنوياته، لأن ذيبين التي وصلنا إليها هي بهمَّة أبي مرعي حاطوم وإخوانه، بلدة وطنية تكره الخونة. لكننا استطعنا أن نجمع الأخبار الآتية، وهي تنفيذ مقررات (شقة)[1] تنفيذاً صارماً، ودعوة ربع المحاربين من كل قرية لأجل الهجوم على المسمية[2] والوقوف في وجه القطار، وتأديب العُصاة من عرب السلوط على الوقعة التي أشار إليها الفرنسويون في بلاغاتهم. وغالوا فيها غلواً عظيماً، لأن جميع القتلى من الدروز هم واحد فقط لاغير. ثم تقرّر أيضاً قطع يد رَجُلَيْنِ جاسوسين، أُمسكا ومعهما مراسلات للأعداء. أحدهما حوراني، والآخر درزي شوفاني من بيت القزّاز. وربما نُفِّذ القرار هذا الصباح، وسيجري اليوم بعد الظهر اجتماع في السويداء لتدارك الأمور المتعلقة بحملة المسمية.

وأمسِ مساءً أطلعني أحد الذيبيين المعروفين على خبر من حوران من بيت عبدي. يقول المُخبر: إنه تقرر أن يكون فارس الأطرش الخائن المعروف حاكماً على

---

(١) شقة أو شقا قرية شمال شهبا في جبل العرب.

(٢) المسمية: قرية في حوران بجوار الصنمين.

الجبل، وإنه سيأتي بحملة فرنسوية بعد نحو أسبوعين ليستقر معها في ذيبين، حيث يريد بثَّ الدعوة ونشر الأخبار التي تروِّج سياسته وسياسة أسياده[1].

إنني أشكُّ في صحة هذا الخبر الأخير، وإن كان تعيين فارس حاكماً أمراً مرجَّحاً. وسبب شكّي هو الاعتذار عن إرسال ربع المحاربين إلى جهة المسمية على ماأظن.

أزكى سلامي واحترامي للوالدة وسائر أفراد الأسرة الكريمة، وللإخوان المحترمين: سعيد بك، وعبد الستار بك، وراشد بك، ،وأبي صلاح. وبلّغوا السيد منير أن الخبر في مكتوبه السري كان له وقع عظيم في الجبل. وهو يطابق برقية «المقطَّم» الأخيرة. ودمت لأخيك...

عبد الرحمن الشهبندر

---

(١) قضت محكمة الثورة السورية في جبل العرب بهدم بيت فارس الأطرش في ذيبين لتعاونه مع الفرنسيين، كما قضت بقطع اليد اليسرى للخائنين:

- شفيق القزاز.
- وسالم صويص، وتمّ ذلك في مشفى السويداء.

جبل العرب. حسن البعيني ص٣٦١.

(٤) مُشكلات الثورة في الجبل

ساله ٧ مايو (أيار) سنة ١٩٢٦

- المتاعب

سعادة الأخ المفضال حسن بك الحكيم، لاعدمته!.

تعتب عليَّ لقلة رسائلي إليك، وأنت أدرى الناس بحرصي على مراسلتك، لولا الأعمال المتراكمة على عاتقي والتي لاأدري كيف أستطيع إنجازها أو القيام بها. إنك أخ حميم فلا أستحي أن أذكر لك هذه المتاعب لأن ذكرها ليس من باب التبجُّح[1]. وكنت أودُّ منك ومن الأخ سعيد بك أن تكتفيا برسائل الأخ نديم أفندي وتعتبراها لكما، وهذا يسهِّل عليَّ أمري ويريح بالي.

إنني أقيم في سالة الآن مؤقتاً وهي أقرب القرى في المقرن الشرقي إلى السُّويداء لأكون على اتصال تام بالحوادث والمجريات. ولكن بقائي فيها هو اسميّ، فكل يوم لابدَّ لي من رحلة قد يحتاج الذهاب والإياب فيها إلى ثماني ساعات، كما جرى معي أول أمس إذ كنت في حاجة إلى زيارة القيادة العامة، فاضطررت إلى الوصول إلى قرب الرحى.

★ مذكرات عبد الرحمن الشهبندر - الوثيقة رقم ٢٠/ ٤ مكرر.

(١) في الثالث من أيار ١٩٢٦م نشر حاكم دمشق العسكري الجنرال ڤالبير على سكان غوطة دمشق بلاغاً، كان مما جاء فيه: «إن الشهبندر لم يكتف بتحريض سكان الجبل، بل جاء إلى غوطتكم الجميلة للعمل على القضاء على رخائها!!! فإذا لم يسلم السكان الشهبندر وعصابته اعتُبروا مسؤولين معه...» تاريخ الثورة السورية للسفر جلاني ص ٤١١.

جَبَهةٌ جديدةٌ في الجولان

الأخ السيد خليل بسط لكم الموقف، فلا حاجة إلى الإعادة. وأبناء معروف ينوون الثبات إلى النهاية، وإن عزائمهم تتشدد من يوم إلى آخر، خصوصاً بعدما تيقَّنوا أن الحملة الفرنسوية ليست ممن يقدر على إرغام أنوفهم، وسترتاح كثيراً متى علمتَ أن الأخ أحمد مِريود[1] هيَّأ حملة للإقليم، وغادر الجبل أوَّل أمس لفتح جبهة جديدة على الخصوم. وأرى أن تُنوِّهوا بذكرها. والأخ المذكور اطَّلع على الحوادث عن كثب وعرف النواقص التي نحن بحاجة إلى إصلاحها وإصلاح أصحابها، والذي تبادرَ إلى الذهن أن موقفه هذا ليس حديثاً بل يرجع إلى زمن بعيد. وقد سافر معه الأمير عادل أرسلان، وسيكون القائد في هذه الحملة هو الأخ أحمد لأنه ابن الإقليم والرجل النافذ فيه. ويرجى كثيراً أن تهبَّ لوجوده القرى الإسلامية في تلك الأنحاء، وهذه ذات شأن كبير. أما الذين سافروا معه فهم دروز الإقليم الذين غادروا منطقتهم عندما هاجمها الفرنسويون ومن والاهم من العصابات النصرانية، ومع دروز الإقليم نحو خمسين درزياً من الشوف في لبنان. وقد كتبت مع الأخ مريود رسالة إلى مصطفى بك وصفي، قائد الغوطة العام، وإلى زعماء العصابات معه أن يُصحبوه بعصابة من أهل السُّنة لإثارة المسلمين في الإقليم.

لابدَّ من دعم الثورة في الغوطة

سيقصُّ عليكم السيد خليل خبراً يتعلق ببرقيةٍ إلى الولايات المتحدة، أرجو الالتفات إلى ذلك وإيجاد طريقة تأتي بالنتيجة المطلوبة، ثم إنني لاأكتم عليكم أن

---

(١) أحمد مريود ١٨٨٦ - ١٩٢٦م من كبار الثوار الوطنيين الأشدَّاء، استشهد يوم ٣٠ أيار ١٩٢٦ - أي بعد ثلاثة أسابيع من هذه الرسالة - في معركة جبَّاتا الخشب قريته المشهورة في الجولان.
وقد عرض الفرنسيون المتوحّشون الحاقدون جثَّته في ساحة المرجة بدمشق طوال يوم ٣١ أيار أمام دار البريد، ثم دُفن في مقبرة الدقاق في قبر عاتكة بدمشق.

سكوتكم هذا أمام الذين يحاولون جعل كل شيء في أيديهم من غير نظر إلى توزيع العدل على مستحقيه أمر لم أستطع تعليله. ولعل لكم نظرة حكيمة أوقفتكم هذا الموقف حتى اليوم. بيد أن الحالة تتطلب نشاطاً في هذه الآونة حتماً. وأرى أن تعيروا اقتراحي اهتمامكم أنتم والأخ سعيد بك بحيث يضمن توزيع العدل ضماناً لاريب فيه. وأما هذيان أبطال المقاهي في القاهرة فهو شنشنة أعرفها من أحزم وأُحيلهم عليكم لتعطوهم الدواء الناجع الذي يعيدهم إلى الصواب.

إنني لم أطلب توزيع العدل إلا لأن الشمال- الغوطة- وما والاها تتوقع منكم التَّمْر بفارغ الصبر. ونحن لانفرّق ولن نفرق بين حَمَلَة البنادق من السوريين القائمين في وجه العدو المغتصب. بيد أننا لابد لنا من النظر إلى مواضع الحاجة لسدّها. والحاجة هناك إلى مثل هذه البضائع الثمينة قطعيَّة. أفهموا هذه الملاحظة الذين تهمهم الحزبية أكثر مما يهمهم الوطن أو تظهر لهم الحزبية الحقائق بهذا الشكل فيقنعون بما يظهر لهم. أتُرى يُضمَن النجاح وموقف الغوطة من حيث التمر هو كما ذكرت؟ وهل بقي أحد في المشارق والمغارب لايعلم أن مركز الثقل في هذه الثورة هو دمشق وأرباضها؟ اعلموا واعملوا بجد لمنع الأثرة، واعذروني على ملاحظاتي هذه.

لابدَّ من كشف الحقائق

على السيد نديم واجب مُتحتِّم وهو إفهام أخيه السيد بديع بعض ما يتحتَّم فهمه بصورة خاصَّة تضمن لنا من الآن فصاعداً أن نكون على بيِّنة مما يجري باسمنا طيَّ الخفاء. ولاإخالكم تضنُّون باسداء النصائح اللازمة كأنْ يطلب إمضاء الوصولات من الثلاثة المعروفين الذين تُرسَل الإعانات باسمهم وغير ذلك.

لايزال نزيه بك منحرف الصحة، والملاريا تنقطع عنه يوماً لتعاوده في الثاني. ومتى ملك صحته فَسَيَعودُ إلى الجهاد المقدس، وإن وجوده في الغوطة ضمان قوي لمنع التعدّي والوقوف في وجه الأعداء وقوف الجبال الراسيات.

وقد أثر فيه كثيراً فقده رفيقه الشجاع الذي كان مفتاح أم خبيب، واسمه أبو تركي كما تتذكرون. وهذا الشهيد مع نزيه بك وأربعة آخرين أوقفوا حملة فرنسوية بكاملها لاأعرف مقدارها. ومتى جاء وقت تدوين الحوادث فسنسمع من أخبار أبطال دمشق مالا تفوقه بطولة، وهذا مدعاة لفخر السوريين جميعاً.

أكتب إليكم هذه الرسالة وقت المساء، والمدافع من السويداء تملأ الفضاء، وأبناء معروف يكابسون العدو، وفي النية مهاجمته قريباً مهاجمة تفتُّ في عضده وتعيده إلى صوابه. على أنني لاأُنكر عليك أن مهاجمة الجنود النظامية وراء متاريسها أمر محفوف بالأخطار. وأرجو أن تكون العواقب منشطة كثيراً ولم أدَّخر وُسعاً لدى القيادة العامة في وجوب التأنّي والانتباه الشديد، والتذكير بحادثة المسيفرة التي انتصر المجاهدون فيها انتصاراً باهراً، ولكنهم بالنظر إلى خسارتهم ١٨٠ قتيلاً لم يقدّروا انتصارهم قدره[١].

يصعب عليَّ تتبُّع الصحف، فرجائي إن أمكن أن تؤشر لي على المقالات المهمة والأخبار التي تتعلق بنا، وأن تجمل لي أنت والأخ سعيد بك خلاصةً تفيد في بيان الموقف العام.

نحنُ والأمريكان

يدَّعي الرجل الأمريكي الذي زارنا أنه موفد نفسه، ولكن الحديث معه لم يدلَّ على ذلك. وقد أخذ الاستعلامات عن بعضنا من بعض المراجع الرسمية

---

(١) حدثت هذه المعركة يومي ١٦ و١٧ من شهر أيلول ٩٢٥م، وكانت من المعارك الهائلة، خسر فيها المجاهدون ٢٥٠ شهيداً و٥٥٠ جريحاً و١٢ راية أخذها الفرنسيون لعرضها في باريس، وقد أجهز الفرنسيون على من وجدوه من الجرحى.

أمَّا خسائر الفرنسيين فكانت حوالي ألف قتيل وجريح على اختلاف كبير بين المؤرخين في ذلك. انظر: الثورات السورية للجندي ص١٩٨، والثورة السورية للسفرجلاني ص١٦٥. والثورة السورية لسلامة عبيد ١٤٠ - ١٦٤.

الأمريكية، وسيخاطب وزارة الخارجية الأمريكية وعصبة الأمم وسفير الولايات المتحدة، في باريز بشأن الطيارات وأعمالها الفظيعة المخالفة للقوانين الدولية. وسيعيد للحكومة الفرنسوية النياشين التي أهدته إياها في غضون الحرب العامة. ولما عاد إلى فلسطين راجع قنصله في القدس، واجتمع باللورد بلومر، المندوب البريطاني، وغيرهما. فأشاروا عليه أن يؤخر احتجاجاته إلى مابعد خروجه من فلسطين كيلا يتَّهم الفرنسويون الإنكليز بأنهم أرسلوه إلى جبل الدروز ليقيم عليهم ضجة في الكائنات. وربما باشر عمله في القاهرة، وسيذهب إلى باريز في القريب العاجل. والذي ظهر لي بصورة خاصة أنه صديق صاحبنا أو يعرفه عن بُعد معرفة تامة كما يعرف السناتور بورا الذي هيَّأ الحملة الكبرى على الفرنسويين في مجلس الشيوخ.

ودمت لأخيك..

عبد الرحمن شهبندر

(٥) تراجُعُ الثَّورة والمنشّطات المطلوبَة

ساله ١٧ مايس سنة ١٩٢٦م

أخي الفاضل السيد الحكيم!

هذه رسالة خاصَّة لايجوز أن تُطْلِعوا عليها أحداً سوى أبي سعيد وأبي هاني.

- الدروز والحالة النفسيَّة

موقفنا دقيق جداً، فلا بدَّ لي من وصفه لتساعدوني مساعدة جدّية على إيصال سفينتنا إلى شاطئ السلامة.

لإخواننا الدروز حالة نفسية لايستطيع المرء الحكم عليها حكماً ثابتاً. فانتقالها من التشاؤم المفرط إلى التفاؤل المفرط هين وسريع لايشبهه إلا انتقالها بصورة معكوسة عما تقدَّم.

إن التفاؤل الذي كان مستحوذاً على القلوب فأفعمها حبوراً انتقل بسرعة البرق إلى التشاؤم، حينما تمكن الخصم من دخول الشهباء عنوة، بحيث أصبح الناس في وجل واضطراب، وأخذوا يفكرون في ملجأ يلجؤون إليه، مع أن وصف معارك الشهباء عند التدقيق وإنعام النظر تدلُّ على انتصار باهر. وهاكها مختصرة:

(★) مذكرات الشهبندر ١٩/ ٣

(١) في ١٦ أيار ١٩٢٦م احتل الفرنسيون الشهباء بعدما قتل منهم ١٢٠٠ قتيل. الثورات السورية ص ٢٢١.

حاول العدوُّ الخروج من السويداء يوم الجمعة الماضي، فلاقاه الدروز ملاقاة الأبطال، ومازالوا يضربونه ضرباً موجعاً حتى هزموه وأرغموه على الرجوع إلى السويداء. ولكن عدد القتلى والجرحى بين أفراده مجهول، ولايُستطاع الحكم عليه لأنهم لم يلاحقوهم بعد انهزامهم، ولم يستولوا على شيء من عتادهم وسلاحهم. غير أن الكسرة كانت شنيعة على التحقيق وأحدثت انتعاشاً في الوطنيين.

- دخول الفرنسيين شهبا

قضى العدوُّ ليلة في (سليم) على أحر من الجمر يضمد الجرحى ويدفن القتلى ويستعد للقاء بني معروف بقلب يخفق من هزات اليوم الماضي. ولكن سرعان ما انقلب خوفه إلى اطمئنان إذ سار في اليوم الثاني- أي أمس- من سليم إلى الشهباء بدون مقاومة تقريباً، فقطع الوعر الممتد من قرية مردك إلى الشهباء من غير أن يسمع طلقة واحدة، مع أنَّ هذا الوعر مشهور بصعوبة مسلكه.

إن دخول الفرنسويين الشهباء أحدث ذعراً في القلوب، وأقلق بعض الحلقات التي يهمنا سكونها. وإنني على مثل اليقين لو أن أهل المقرن الشمالي قابلوهم بالسلاح الماضي لما قدّر لهم هذا الدخول. ولكن التواني من جهة، والدعوة التي يبثّها الخونة من جهة أخرى أتت بهذه النتيجة المؤلمة.

سيسطّر التاريخ خيانة طلال عامر[1]، شيخ الشهباء، ونجيب عامر ابن عمه بأحرف من عار، على قرطاس من شنار. ويرجع السبب الأكبر في هذه الخيانة إلى حزازات قديمة بين هذين الخائنين وبين الطرشان. وربما كان للتوظف والوظائف الشأن الأكبر. وقد عرفتُ ذلك من حديث دار بيني وبينهما يوم زيارتي الشهباء.

هل تداعى بنياننا إلى الانهيار، فيقتضي الخروج منه قبل أن يسحبنا الأحباب

---

(١) كان طلال عامر يطلب الاستعمار الفرنسي الكامل للجبل ولكل سوريّة بكل وقاحة، وقد عدَّه الدروز خائناً هو ومن يقول برأيه من أمثال سليم الأطرش رئيس دولة الدروز التي أقامتها فرنسة بين ١٩٢١ و١٩٤٣م، ومن هؤلاء أيضاً فارس الأطرش وآخرون.
الثورة السورية- سلامة عبيد ص٩٠.

من تحت أنقاضه، أم أن ذهنية أبناء معروف السريعة التنقُّل لايجوز الاسترشاد بها في هذا الموقف الخطير؟

إنني مؤمن بأنَّ بنياننا متين لاخوف عليه، ولكنني أشدُّ إيمانًا بوجوب التعاون الآن وقيام كلٍّ منا بالوظيفة التي تتسنّى له لإرجاع الثقة إلى القلوب، وتهيئة النفوس المضطربة.

الاجتماع بالمشايخ

وأوَّل عملٍ قرَّرته أنني عزمتُ هذا الصباح على الذهاب إلى قرية الشبكة لعقد اجتماع مع مشايخ العُقَّل وعبد الغفار باشا[1]. فما خرجتُ من قرية سالة أنا والإخوان عادل بك النكدي ومصطفى بك العظم وأبو علي المطيط وابن أختي رفعة البيلاني إلا والمشايخ قادمُون لسالة لعقد الجلسة عندي. فاجتمعنا اجتماعين خطيرين هذا النهار قبل الظهر وبعده. وممن حضره الشيخ أحمد الهجري وعبد الغفار باشا الأطرش وسليمان بك نصّار وعلي بك عبيد والشيخ أبو علي هاني وعادل بك نكد ونزيه بك المؤيد وغيرهم من الزعماء والأعيان. ففردنا القضية من زواياها الأربع وبحثنا فيها بحثًا مستفيضًا، فرأيت التشاؤم مستوليًا، وزعماء الدروز مجمعون على أن إيقاظ الهمم متعذر إن لم يكن مستحيلاً، وعندهم بالإجماع أيضًا أن السبيل الوحيد لتصبير الدروز والخروج من المأزق الحاضر هو عرض الانتداب على إنكلترة!!!.

طلب الانتداب البريطاني!!!

مفاجأة مستغربة وخطة ما كنت لأتصورها لو لم يتسرَّب لي من بعض المطلعين منذ حين أن شفيق بك القاضي يضع في عمان تلك الأسس الواهية.

أما تطبيق هذه الخطة فعندهم أن يتوسل إليها بإرسال وفد من مشايخ العُقَّل

---

(١) الأطرش، وهو من زعماء الثورة في جبل العرب، توفي في آذار ١٩٤٢م.